فكاهات

الكولونيل جيرار[1]

— ١٤ —

كنت في ذات يوم مع رفيقي الماجور شر بنتير فرأينا المارشال مكدونلد قادماً الينا فقال بصوت اجش مقتضب ايها الكولونل جيرار وانت ايها الماجور شر بنتير ان الامبراطور يطلبكما لقضآء أمرمهم . ولما قال هذا سار امامنا حتى بلغ غرفة الامبراطور ففتح بابها و بعد ان اخبر نابوليون بحضورنا استدعانا فدخلنا . وكان نابوليون واقفاً بجانب الغرفة امام خريطة معلقة في الحائط والى جانبهِ برتيه وهو يدلهُ بسيفهِ على الخريطة ويكلمهُ بصوت منخفض . ولما شعر بدخولنا تقدم برتيه لمقابلتنا فاستوقفهُ الامبراطور وأشار الينا بالتقدم ثم نظر اليَّ وقال انك لم تحصل بعد على وسام جوقة الشرف يا جيرار . قلت لا يا مولاي وأردت ان اتم كلامي واخبرهُ ان عدم حصولي عليهِ لم يكن لانني لم استحقهُ ولكنهُ قاطعني مردداً نفس السؤال للماجور شر بنتير فاجابهُ مثلي . فقال اذاً اعلم كليكما هذا الوسام اذا عرفتما ان تنالاهُ . ثم التفت الى الخريطة ووضع طرف السيف على مدينة ريمس وقال انني اذكر صدق خدمتكما مذ كنتما معي في مارنغو ولذلك اكاشفكما بما في نفسي بكل وضوح . هذه مدينة ريمس محل معسكرنا الحالي وهذه باريس تبعد عنا خمساً وعشرين غلوة وهنا يعسكر بلوخر الى الشمال وشوارزنبرج الى الجنوب . وكان يمشّي طرف السيف على الخطوط التي يذكرها . ثم استأنف حديثهُ فقال ولا يخفى انهُ كلما اوغل هذان في داخل البلاد كان سحقهما اسهل عليَّ . وهما ينويان الزحف الى باريس فليفعلا فان اخي ملك اسبانيا يكون في انتظارهما بمئة الف مقاتل وهو الشخص الذي

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ارسلكما اليهِ في هذه المهمة فلابد من ايصال رسالتي اليهِ وقد كتبت منها صورتين اسلم كلاّ منكما واحدة ومفاد الرسالة انني اعلمهُ بقدومي اليهِ لمساعدتهِ فاكون عندهُ بعد يومين برجالي وفرساني ومدافعي

أما انا فلا اقدر ان اصف لكم ما بان على وجهي من علامات التيه والعظمة حين اطلعنا الامبراطور على ما ينويهِ ولم يكد يسلم كلا منا صورة من الرسالة المذكورة حتى ضممت احدى رجليَّ الى الاخرى وابرزت صدري وحنيت رأسي مسلماً وفي عينيَّ ما يقول للامبراطور المحبوب انني اقوم بما يريد ولو اعترضني الانس والجان . ولحظ ذلك مني فوضع يدهُ السمينة على قبعتي متبسماً فشعرت انني ملكت الدنيا بأسرها وودت لو اخسر ما املكهُ وتكون والدتي ناظرة اليَّ في تلك الدقيقة. ثم قال لنا بقي عليَّ ان اريكما الطريق التي ينبغي ان تسيرا فيها وعاد الى الخريطة فقال وهو يشير عليها انكما تذهبان معاً من هنا الى بازوش ثم تفترقان فيذهب احدكما عن طريق اولشي ونايلي والآخر عن طريق براين وسواسون وسنليس فهل لك ما تقولهُ يا جيرار . فلم اعلم ما اقول ولكن نزق الشبيبة وما خامرني من الاعتزاز بالنعمة التي حصلت عليها جعلني افوه ببعض كلمات تدل على تفانيَّ في خدمتهِ وخدمة فرنسا . فقاطعني واعاد سؤالهُ لرفيقي فاجابهُ ذاكَ قائلاً اذا رأينا الطريق خطرة يا مولاي فهل تطلق لنا الحرية في اختيار غيرها . فاظهر نابوليون علامة الاشمئزاز وقال ان على الجنود الطاعة وليس لهم الاختيار . ولما قال ذلك حوَّل ظهرهُ اشعاراً لنا بلزوم الانصراف ثم جعل يكلم برتيه فسمعتهما يقهقهان ولكنني لم افهم من حديثهما شيئاً

اما نحن فخرجنا ولم نضيع شيئاً من الوقت وفي اقل من نصف ساعة كنا سائرين على جوادينا خارجين من ريمس . وكنت راكباً فرسي الصغيرة ڤيوليت وهي اسرع عدواً من خيول كتائب الفرسان الستة بل هي التي فازت على جواد الدوق روفيكو المشهور بالسباق . اما شر بنتير فكان ممتطياً جواداً من خيل الفرسان المدرعة وهو كبير الجسم ظهرهُ كالسرير وقوائمهُ كالاعمدة وكان هو كبير الجسم ايضاً

حتى خلتهُ بجانبي جبلاً يتحرك . ومع ذلك فانهُ كان يسابقني في التبسم الى الفتيات اللواتي كنَّ يودعنني بتحريك مناديلهنَّ من نوافذ البيوت وقد ظنَّ انهنَّ انما يفعلنَ ذلك لهُ . ولم نزل كذلك حتى خرجنا من البلدة فاجتزنا محل القتال بالامس وكان لا يزال مغطى بجثث عساكرنا وعساكر اعدآئنا الروس ثم القيت نظراً الى معسكرنا فوجدتهُ لم يبقَ منهُ الا شراذم غير كاملة واكثر صفوفهِ ناقصة وعددهُ قليل . فلما تفكرت في وجودهِ على هذه الحالة بين ثمانين الف بروسي شمالاً ومئة وخمسين الف روسي ونمسوي جنوباً لم اتمالك ان ذرفت دموع اليأس والحزن ولكنني تذكرت للحال ان نابوليون لا يزال بين الجنود الباقية وانهُ منذ هنيهة قد وضع يدهُ على قبعتي ووعدني بوسام جوقة الشرف فتحول قنوطي الى سرور فجعلت اغني بأعلى صوتي ثم اطلقت لفرسي العنان فطارت بي حتى جعل شربنتير يناديني لانتظرهُ وهو يتبعني بجوادهِ الكبير كالجمل وهما ينفخان ويلهثان

ولم يكن شربنتير صديقاً حميماً لي فقطعنا مسافة عشرين ميلاً وانا لم استفد شيئاً من مرافقتهِ لانهُ كان لا يتكلم وقد اكبَّ بذقنهِ على صدرهِ وغرق في التفكر وكنت من حين الى آخر اكلمهُ فلا يجاوب كانهُ آلة صمآء تتحرك بغير ارادتها . وما صدقت ان بلغنا بازوش حيث اذهب شمالاً ويذهب جنوباً ولكنهُ ادار جسمهُ على سرج جوادهِ وقال لي ماذا تظن في هذه المهمة يا جيرار . قلت انها في نهاية البساطة. قال ولمَ اطلعنا الامبراطور على نيتهِ . قلت لانهُ يعرف ذكآءنا . قال واذا صادفت في طريقك عساكر البروسيين فماذا تفعل . قلت اتابع مسيري بموجب الاوامر المعطاة لي. قال ولكن ربما قتلوك. قلت هذا لا يبعد . فقهقه ضاحكاً ضحكة مستطيلة غاظتني حتى وضعت يدي على مقبض حسامي ولكنهُ لم ينتظر لحظة اخرى بل ساق جوادهُ وانطلق في الطريق الثانية . ولما ابعد تحولت بفرسي الى الطريق الاخرى وسرت فيها وانا واضع يدي على الرسالة المودعة في صدري لاتحقق وجودها وقد تيقنت انها ستتحول الى الوسام الموعود وجعلت افكر في ما تقولهُ والدتي اذا رأتهُ على صدري . وما زلت في هذه الافكار حتى بلغت براين ثم سرموايز فترجلت

وقدمت لفرسي علينا في فندق بجانب سواسون. وفي اثنآء ذلك علمت من صاحب الفندق ان بلوخر معسكرٌ هنالك منذ يومين فتعجبت جدًّا كيف اختار الامبراطور مع علمهِ بذلك ان يرساني في الطريق النازلة فيها الاعدآء ولكنني تذكرت قولهُ لشربنتير ان على الجندي ان يطيع وليس لهُ ان يختار فصرفت من ذهني كل اعتراض وقلت لا بد لي من التقدم ما دام في فرسي نفس وفي يدي قوة لضبط اللجام . ثم اخذت غدارتي بيدي اليمنى ولم اتركها في كل المسافة بين سرموايز وسواسون وانا اجدّ في السهول وابطئ في المنعرجات والهضاب . ولما بلغت الجسر الخشبي قابلتني امرأة واخبرتني ان البروسيين قد احتلوا سواسون وان فرقة منهم قد دخلتها في ذلك النهار وسيدخلها باقي الجيش قبل نصف الليل فلم اقف لاسمع بقية الحديث بل وخزت فرسي بالمهماز وفي اقل من خمس دقائق بلغت المدينة . فلقيت في اول شارع من شوارعها ثلاثة فرسان من الالمان يتحادثون ولكنهم لم يكادوا يشعرون بقدومي حتى مرت فرسي ڤيوليت امامهم مرور السهم وما بلغت وسط المدينة حتى رأيت كثيرين من أولئك الفرسان فصممت ان اجتازهم واصابت ڤيوليت احدهم بكتفها فألقتهُ الى الارض وطعنت بسيفي آخر فاخطأتهُ ثم قرع اذني طلقتان ناريتان ولكنني كنت قد اخذت طريقاً منحرفاً الى اليسار فذهبتا في الهوآء . وكانت ڤيوليت تقدح حوافرها ناراً وانا واقف على الركاب وحسامي مصلت بيدي فاستقبلني غيرهم وتقدم احدهم ليمسك اللجام فبترت ذراعهُ واطبق عليّ فارسان آخران فارديت الواحد وسبقت الآخر . وبعد دقيقتين خرجت من الجهة الثانية من المدينة كالطائر السريع وطاردني بعضهم مسافة ولكنني كنت اسمع وقع حوافر جيادهم يضعف شيئاً فشيئاً حتى لم اعد افرقهُ من ضربات قلبي . واذ ذاك وقفت لاريح ڤيوليت قليلاً ولم اعد اسمع شيئاً فتحققت اني قد نجوت وانهم كفوا عن الالحاق بي فترجلت وقدت ڤيوليت الى غابةٍ فيها مجرى مياه عذبة فسقيتها وغسلتها واطعمتها قطعتين من السكر بعد ان ان صببت عليهما قليلاً من الكنياك وفي اقل من خمس دقائق جعلت تنظر اليّ كانها لم تتعب قط او كانها

خارجة من الاصطبل مستعدة لتطير بي الى آخر العمور . فتابعت مسيري وعلمت مما كنت اسمعهُ من اغاني الالمان وصياحهم على جانبي الطريق ورآء الاشجار انني في وسط بقعة تملأها جنودهم . فجعلت اسرح النظر الى تلك الجهات فارى في مواقع مختلفة النيران التي اضرمتها الجنود ولكنني لم اهتم بها وتصورت ان صديقةً لي تدعى ليزيت ستقابلني في باريس وكم يسرها قدومي وغرقت في هذه التصورات فلم اشعر الا وقد بلغت عطفةً ورأيت امام وجهي ستة من فرسان الالمان جالسين حول النار بجانب الطريق

انني بعيد عن الادّعآء ولكنني لا اقدر الا ان احكي الحقيقة فانني كنت لا اماثَل في سرعة التصور واقرر في لحظة ما يلزم غيري اسبوع للتبصر فيهِ فعلمت للحال انهم لا بد لهم من مطاردتي ففضلت ان يطاردوني الى الامام الى جهة سنليس ولا يطاردوني رجوعاً الى سواسون . كل ذلك مر امام مخيلتي بسرعة البرق فغمزت خاصرتي ڤيوليت بالمهماز فمرت بي مرور الرصاص وسمعت ثلاث طلقات دوت ورآئي وثلاثة فرسان يصيحون و يسرعون في امتطآء جيادهم للحاق بي فنظرت اليهم ضاحكاً وصحت بأعلى صوتي ليحيَ الامبراطور . ولو لم تكن ڤيوليت قد تعبت جدًّا لتمكنت من سبقهم خمسة اضعاف غير انها لم تستطع ذلك امام جيادهم المستريحة . ولما نظرت ورآئي رأيت فتىً منهم على بعد نحو مئتي يرد مني وفارسين ورآءهُ . وكان الفتى الاول يسبق رفيقيهِ حتى اذا صار قريباً مني جعلت اخفف من سير فرسي شيئاً فشيئاً لاقنعهُ انهُ سيدركني ثم اخذت غدارتي فاصلحتها والتفتُّ اليهِ فرأيتهُ شاهراً سيفهُ وهو يتهددني بهِ . اما انا فصوبت الغدارة الى وجههِ ولكنهُ خطر لي للحال انهُ ربما يكون لهُ والدة تنتظر عودتهُ اليها فغيرت وجهة الغدارة واطلقت الرصاصة على كتف جوادهِ فسقط . اما الاثنان الباقيان فلم يزالا يجدان حتى مرّا برفيقهما فلم يهمهما امرهُ كانهُ لم يكن وكنت قد سبقتهما مسافة بعيدة حتى ترجح لي انهما سيعودان عن لحاقي فاستوقفت فرسي ولكن لم يكن الا القليل حتى رأيتهما قادمين عن بعد وعلمت انهُ لا يزال امام ڤيوليت شوطٌ بعيد فاطلقت

لها العنان وانا مؤكد انني سأتخلص منهما هذه المرة .غير انني لم ابتعد كثيراً حتى رأيت امامي على مسافة بعيدة في آخر الطريق فرقة من الجنود عرفت للحال انها من الهوسار فايقنت بالهلكة لان الهوسار امامي والدراغون ورآئي ولم اقع في مثل ذلك الخطر الجسيم بعد مغادرتي موسكو. لكنني آثرت ان احافظ على شرفي فلا اقف ولا ارجع مفضلاً ان تقطعني سيوف الهوسار على ان اظهر الجبن والخوف ولذلك وخزت ڤيوليت بالمهماز فوثبت الى الامام واذا بكلام باللغة الفرنسوية قد قرع سمعي فعلمت للحال ان فرقة الهوسار التي امامي هي فرنسوية من جنود مرمونت وليست المانية فحمدت الله وتقدمت اليها ساكن الجأش ونظرت الى مطاردَيَّ فرأيتهما قد لاذا بالفرار

وكان قائد الهوسار صديقي بوڤيه الذي انقذتهُ في ليبسك فاستقبلني بسرور ولما اعلمتهُ اني اقصد سناليس قال يستحيل ذلك لان الاعداآء حالُّون فيها وأشار عليّ أن اقصد باريس من طريق آخر . فقلت لهُ ان الاوامر المعطاة لي تقضي عليَّ بالذهاب الى سناليس والجندي عليهِ ان يطيع وليس لهُ ان يختار . قال اذا كان كذلك فاننا نذهب برفقتك وهكذا سرت وسار بوڤيه بفرقتهِ معي في سكون الليل حتى لاح لنا الفجر بالقرب من سناليس فلقينا فلاحاً اخبرنا بأحوال البلدة وان فيها كتيبةً من القوزاق معسكرة في بيت الحاكم عند زاوية سوقها وفرقة من مشاة الالمان في غابةٍ شمالي البلدة . ولما فهمنا ذلك وكنا قد ارحنا خيولنا دخلنا البلدة هاجمين الى بيت الحاكم قبل ان يحلم احدهم بوجود الجنود الفرنسوية بالقرب منهم ولما اطبقنا عليهم نهض الاهلون لمساعدتنا لانهم يكرهون القوزاق فحصلت معركة عظيمة لم ينجُ فيها احدٌ من الروسيين . ولما قطعنا دابرهم واحتللنا المنزل اخذت اناءً فيهِ ماء فسقيت ڤيوليت ووضعت امامها شيئاً من العليق ثم دخلت لاتناول شيئاً من الزاد يكفيني الى ان ابلغ باريس فوجدت بوڤيه بانتظاري وعرض عليَّ ان نشرب معاً زجاجة خمر فقلت لا بأس ولكن اين الخمر . قال لا يصعب علينا ان نجدها فان الحاكم اشتهر بحفظ اجود انواعها في بيتهِ . ثم أخذ شمعة ونزل امامي سلماً فتبعتهُ

وانتهينا الى سلم آخر داخل المنزل نزلنا منهُ الى قبو القصر فوجدناهُ ملآن بزجاجات الخمر وقد وُضع كل صنفٍ على حدةٍ. وانتهى بحثنا بان وجدنا صنفاً من البرغندي فمد بوثيه يدهُ لاخذ واحدة منها واذا بصوت طلقات البنادق قد كاد يصم آذاننا فعلمنا ان الفرقة الالمانية المعسكرة في الغابة قد علمت بقدومنا فاطبقت علينا. ولا انكر شجاعة بوثيه عند سماعهِ ذلك فانهُ استل سيفهُ واسرع في الصعود فتبعتهُ ولكننا لم نبلغ آخر السلم الاول حتى فهمت من الاصوات والجلبة ان الالمان قد قهروا الهوسار واحتلوا المنزل عوضاً عنهم فامسكت بيد بوثيه وقلت لهُ لم يبقَ لرجوعنا من فائدة فلنسعَ بالخلاص . فقال كلا فقد قتلوا رفاقي وانا باقٍ في الحياة فيجب ان يقتلوني ولما قال هذا تخلص مني ووثب الى الاعلى . وكنت اكون قد فعلت فعلهُ لو لم اتذكر ان معي رسالة يجب ان احاذر الخطر ما امكن محافظةً عليها فتركت بوثيه يذهب لملاقاة حمامهِ ورجعت الى القبو فاقفلت بابهُ ورآئي . وكان بوثيه قد رمى الشمعة الى الارض قبل خروجهِ فانطفأت ووجدت نفسي في ظلام دامس وبعد التلمس مدة عثرت عليها فاشعلتها ولكن ما الفائدة وانا سجينٌ وفوقي عساكر الالمان تصيح فرحاً وانتصاراً فايقنت انني هالك . وتمثلت امامي والدتي والوسام والامبراطور فاعارني ذلك حماسةً جديدة فوقفت وقلت تشجع ياجيرار فان نهاية اعمالك لم تأتِ بعد . وخطر لي لاول وهلة ان اضرم البيت بمن فيهِ وانجو في وسط الجلبة والاختلاط ثم اقلعت عن هذا الخاطر وفكرت في الاختفآء ضمن احد براميل الخمر الفارغة حتى اذا اتم الالمان عملهم وغادروا البيت اخرج متستراً . وبينما انا ابحث عن برميل فارغ رأيت في الجدار باباً لم اكن قد رأيتهُ قبلاً فاقتربت لارى الى اين يوصل فوجدتهُ مفتوحاً ولما دفعتهُ رأيت كأن شيئاً يسندهُ من الداخل . فجمعت قواي ودفعتهُ بعنف فانفتح وسقطت الى الارض فوقعت الشمعة من يدي وانطفأت فعدت ثانيةً الى الظلمة. وكان هذا المكان الثاني قبواً شبه الاول ولهُ نافذة صغيرة ينبعث منها نور القمر فتمكنت بواسطتهِ من فحص الغرفة واول ما وقع نظري عليهِ رجل قد وقف بقرب الحائط كبير الجسم طويل القامة والى جنبهِ سيف طويل

عرفتهُ للحال من قبعتهِ انهُ من القوزاق . ولا انكر انني لم اكن انتظر ان أرى احداً في ذلك المخبأ فلما رأيتهُ لم اتمالك ان اصابتني قشعريرة الخوف ولكن للحظةٍ فقط لان فكري الثاقب اعلمني للحال ان الرجل خائف اكثر مني والاّ لما كان دخل الى ذلك المكان وحقق ظني هذا ما رأيتهُ فيهِ من الارتباك ومحاولتهِ الاختفآء بين براميل الخمر . واستعرت من الضعف قوةً فاخذت الشمعة ثانيةً واشعلتها ثم تقدمت اليهِ بكل عظمة وقلت لهُ الى اين تهرب مني يا هذا لقد دنا اجلك . فقال والخوف بادٍ على وجههِ انني اسلم لك يا سيدي وانما اتوسل اليك ان تبقي على حياتي. فوعدتهُ بذلك وناولني سيفهُ ثم سألتهُ عن شأنهِ فاعلمني انهُ من قوزاق الامبراطور وانهُ جآء بفرقتهِ الى سنايس واحتلوا منزل الحاكم وفي المسآء شعر ببرد في جسمهِ فنزل الى قبو الخمر ليشرب شيئاً و بينما هو هناك سمع جلبة وغوغآء في المنزل وعلم اننا دخلناهُ فخاف ان يصعد و بقي مختفياً حيث رأيتهُ . ولم يكن قد علم اننا كما فعلنا بالقوزاق فعل الالمان بنا فشكرت الله على عدم معرفتهِ بذلك وللحال خطر لي خاطر هو من الحكمة بمكان فنظرت اليهِ وقلت انني اتأسف جدًّا انني وعدتك بحياتك واراني لا استطيع صيانتها . فاكفهرَّ وجههُ خوفاً وقال ولمَ ذلك يا سيدي . قلت لان جنودنا ولا سيما البولبن يكرهون القوزاق كثيراً فاذا مرَّ بهم احدهم قطّعوهُ قطعاً ولو أمرهم ضباطهم بالكفّ عنهُ ولذلك اذا صعدت بك الآن اليهم فانني لا أجد قوةً تمنعهم عنك . فانحدرت من عينيهِ دمعتان ونظر اليَّ بتذلل وقال انني في يديك يا مولاي وقد وعدت بخلاصي فيجب ان تقوم بوعدك . فقلت بعد التفكر ان افضل طريقة لنجاتك هي ان اعطيك ثوبي فترتديهُ وتمرّ أمامهم بدون ان تكلمهم فهم يعرفون ثوبي ولا يعترض احد سبيلك . وما سمع ذلك مني حتى كاد يجن فرحاً واخذ يقبل يديَّ شاكراً ثم قال وانت ماذا تفعل . قلت انني ارتدي ثوبك ولا اخاف منهُ لانني سأدخل اليهم رأساً و يكفيهم مشاهدة وجهي ليعرفوني. و بعد دقيقتين كنا قد تبادلنا ثيابنا جميعها فاعطيتهُ كل لباسي ما عدا الرسالة فانني نقلتها بخفة الى ثوبي الجديد ولما فرغنا من ذلك قلت لهُ انني سأذهب امامهُ لاتحقق

خلو الطريق وجعلتهُ ينتظرني في داخل القبو الى ان آتيهُ بالخبر ثم اقفلت عليهِ الباب وصعدت وانا اتفكر في رسم طريقي وكيفية خروجي

ولما بلغت الغرفة الاولى من المنزل رأيت امامي جثة المسكين بوفيه فحزنت جدًّا ولكنني لم استطع الوقوف امامها لاحيبها خوفاً من ان يراني احد . وبلغت الردهة الكبرى فرأيت فيها عدداً من جنود الالمان وضابطهم يحصنون المنزل فلم يهتم امري ولم اكترث بهم فسرت بدون خوف الى الباب الخارجي . واعترضني الحارس فكلمتهُ بالروسية بعض كلمات حفظتها في موسكو فتبسم وضرب كتفي بيدهِ فخرجت وانا لا اصدق . ورأيت في الدار الخارجية خيول الفرسان وبينها ڤيوليت وكانها شعرت بقدومي فاظهرت ذلك بصوت ضعيف اما انا فلم أعدم ذكآئي ولم اتقدم اليها رأساً بل اخذت جواداً من جيادهم ركبتهُ ثم اخذت لجام ڤيوليت وقدتها بجانبي وسرت بدون اقل اهتمام . وكانت البلدة ملأى بجنود الالمان فكانوا يشيرون اليَّ وهم يقولون انظروا هـذا القوزاقي الطويل العمر فقد نجا من الفرنسويين ولم يهتم واحد منهم بان يعترض سبيلي انما كان بعضهم يحيوني فاجيبهم بالروسية . ولم ازل كذلك حتى اصبحت خارج البلدة وكدت اوقن بفوزي واذا بفارس من القوزاق عائد الى البلدة فكدت افقد عقلي لعلمي ان امري سينكشف لا محالة ولكنني تجلدت. فلما اقترب مني كلمني فلم اجبهُ فاستل سيفهُ وكنت قد توقعت ذلك فكنت اسرع منهُ وضربتهُ ضربة على عاتقهِ نزلت الى منتصف صدرهِ فسقط الى الارض. وللحال وثبت من ظهر جوادي الى صهوة ڤيوليت فانطلقت تعدو بي اسرع من السهم وانا اكاد اطير من عظم سروري وقد ايقنت ان الامبراطور نفسهُ سيعجب بي متى اخبرتهُ بما حصل لي

ولما بلغت دامرتين رأيت فيها فصيلة من جنودنا وسرني بلوغي دار الامان حتى كدت اعدم رشادي فرفعت سيفي في الهوآء وانا اتقدم اليهم بصياح الفرح والسرور واذا بفارس منهم قد استلَّ سيفهُ وجآء لملتقاي وانا احسبهُ يرحب بي ولكنهُ ما قارب مني حتى ضربني ضربة لو لم استقبلها بمنتهى الدراية لاعدمتني الحياة. وللحال

فهمت انني لا ازال بثوب القوزاق وانهم ظنوني عدوًّا فالحال اعلنت لهُ نفسي ولو ترون كم اظهر من الاسف لما علم ذلك وقد كان على وشك قتل جيرار المحبوب . وفي الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم بلغت الى سانت دانيس ومنها الى باريس ولا تسلوا عن حالتي عند ما سرت في شوارعها والى جانبي اثنان من فرسان الدراغون يرافقانني وكانت النوافذ تفتح لمشاهدتي والفتيات يرمينَ اليَّ بالقُبَل . ومع عدم اكتراثي بالشهرة والفخر لم املك من الاعجاب بنفسي وقد تاكد لي انني استحق مثل هذه المقابلة . و بلغنا التويلري فترجلت وقبلت ڤيوليت بكل انعطاف ثم سلمتها الى جنديٍّ ودخلت ولم اكن بثوب يليق ان اقابل بهِ ملك اسبانيا غير ان للضرورة احكاماً فدخلت الى حضرتهِ وكان معهُ تاليراند فدفعتُ اليهِ الرسالة. و بعد ان اطلع عليها سلمها الى تاليراند ثم نظر اليَّ باستغراب وقال هل كنت الرسول الوحيد لايصال هذه الرسالة . قلت كلا فان صورتها مع رسول آخر يدعى الماجور شر بنتير. قال انهُ لم يصل بعد . قلت ان جوادهُ لا يستطيع السرعة كفرسي . فتبسم تاليراند تبسماً استغربتهُ وقال ربما كان سبب تأخرهِ غير ذلك

وحياني الملك بعد ان شكرني على بسالتي ثم خرجت وتوجهت توًّا الى حيث ارتديت ثوباً من ثيابي و بعد ان استرحت وارحت ڤيوليت عزمت على الرجوع لانني كنت مشتاقاً الى مواجهة الامبراطور واطلاعهِ على ما فعلت لاسمع المديح منهُ. ولما كنت حرًّا في اختيار الطريق لرجوعي جئت من سكة امينة و بعد يومين بلغت المعسكر وتوجهت توًّا الى غرفة الامبراطور وكان يشرب القهوة ومعهُ برتيه ومكدونلد . فلما وقع نظرهُ عليَّ قطب حاجبيهِ وقال ما شأنك يا هذا . قلت انما جئت يا مولاي لاعرض لجلالتكم انني بلغت رسالتكم بأمان الى جلالة اخيكم ملك اسبانيا . فظهرت على وجههِ علامات شراسة وكدر لن أنساها ما حييت وقال ماذا تقول . واين شر بنتير اذاً . فقال مكدونلد قد اسرهُ فارس من القوزاق . قال وهل تحاربا . قال كلا ولكن شر بنتير سلم نفسهُ اليهِ . فقال الامبراطور حسناً فعل شر بنتير فيجب ان يعطى لهُ وسام جوقة الشرف . اما انت يا جيرار فقد تحققت

انك عادم العقل وماذا تظن غايتي من ارسالك في مثل هذه المهمة وهل تعتقد انني كنت اسلم رسالة ذات شأنٍ كهذه الى ابله نظيرك وآمرهُ ان يمرّ في كل قرية او بلدة فيهـا الاعدآء . اما نجاتك من كل تلك الاخطار فمما يفوق ادراكي ولو كان الرسول الاخر فاقد العقل نظيرك لاحبطتما سعيي . وقد كان يجب عليك ان تفهم ان هذه الرسالة التي سلمتها اليكما واطلعتكما عليها لم تكن الاّ اخباراً مزورة بعكس ما أنوي وقد امرتكما ان تسيرا بين الاعدآء بقصد ان يأسروكما ويأخذوا الرسالتين منكما فيظنوا اني آتٍ الى باريس ويوجهوا اهتمامهم الى هذه الجهـة بينما اكون انا ادبر عكس ذلك تمامـاً . فلما سمعت ذلك ورأيت هيئة الغيظ والتكرُّه العظيم اسودت الدنيا في عينيَّ فقلت لهُ وقد انحدرت دموعي على وجنتيَّ يا مولاي انهُ لا يوجد في كل مملكتك اصدق مني لك فاذا ارسلتني بمهمة بعـد الآن ينبغي ان تطلعني على جميع تفاصيلها فلو اعلمتني انك ترغب في وقوع الرسالة بين ايديهم لفعلت ذلك بسهولة ولكنك لم تفعل فقد خاطرت بنفسي وعزمت ان اريق آخر نقطةٍ من دمي في سبيل ايصالها الى عنوانها

وكنت اتكلم بمزيد التأثر وانا اكفكف دموعي ثم قصصت عليهِ قصة سفري بالتفصيل وانني بعد خلاصي من كل تلك المخاطر كدت اقتل بسيف الضابط الفرنسوي ايضـاً . وكان الامبراطور وبرتيه ومكدونلد يسمعون بمنتهى الاصغآء والاعجاب . فلما انتهيت اقترب نابوليون مني وامسك اذني فقال حسن حسن يا جيرار وانا ارجو ان تنسى كل ما قلتهُ لك منذ هنيهة فاني بعكس ذلك امدحك واهنئك . وفهمت منهُ انهُ يمكنني الانصراف فحييت وتحولت الى الباب فاستوقفني صوتهُ مكلماً مكدونلد بقولهِ ارجو منك يا دوق تارنتم ان تقلد جيرار وسام جوقة الشرف الخصوصي لانهُ وان يكن اكبر رجالي رأساً فهو أشدهم بأساً واقواهم قلباً ولما لمع الوسام على صدري أنساني كل شيء الاّ والدتي والامبراطور وفرنسا